الخلاف الكريستولوجي في القرن الخامس: تحليل تاريخي ولاهوتي وسياسي للنزاع بين كيرلس السكندري ونسطور

مقدمة: جذور الخلاف الكريستولوجي في القرن الخامس

يمثل الخلاف الذي نشب في القرن الخامس الميلادي بين كيرلس أسقف الإسكندرية ونسطور أسقف القسطنطينية حول طبيعة السيد المسيح نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفكر المسيحي. لم تقتصر تداعيات هذا النزاع على إحداث انقسامات كنسية دائمة لا تزال قائمة حتى اليوم [1]، بل أجبرت الكنيسة على تحديد مصطلحاتها اللاهوتية المتعلقة بشخص المسيح (الكريستولوجيا) بدقة فلسفية غير مسبوقة.[3] لم يكن هذا الخلاف وليد لحظته، بل كان تتويجًا لعقود من التطور اللاهوتي المتباين الذي أعقب المجمعين المسكونيين الأولين في نيقية (325 م) والقسطنطينية (381 م)، حيث تبلورت رؤيتان كريستولوجيتان متمايزتان في مركزي الفكر اللاهوتي الشرقي آنذاك: الإسكندرية وأنطاكية.[5]

كانت لكل من هاتين المدرستين منهجيتها الخاصة في التفسير واللاهوت. مدرسة الإسكندرية، التي اشتهرت بمنهجها التفسيري الرمزي والروحي للكتاب المقدس [7]، انطلقت في كريستولوجيتها من "الكلمة" (اللوغوس) الإلهي، معتبرةً التجسد هبوطًا إلهيًا نحو البشرية. هذا المنظور، المعروف بلاهوت "الكلمة-جسد" (Logos-Sarx)، ركز بشدة على الوحدة العضوية والعميقة في شخص المسيح الواحد.[4] كان الدافع الأساسي وراء هذا التركيز هو حماية عقيدة الخلاص (السوتريولوجيا)؛ فمن وجهة النظر السكندرية، إذا لم يكن الإله المتجسد هو نفسه من تألم ومات في الجسد، فإن فداء البشرية يصبح موضع شك.[9]

على النقيض من ذلك، تبنت مدرسة أنطاكية منهجًا تفسيريًا يميل إلى الحرفية والتحليل التاريخي للنصوص.[8] وفي الكريستولوجيا، كانت نقطة انطلاقها هي "الإنسان" يسوع الناصري الذي اتحد به "الكلمة" الإلهي. هذا المنظور، المعروف بلاهوت "الكلمة-إنسان" (Logos-Anthropos)، شدد على التمايز الكامل بين الطبيعتين، الإلهية والإنسانية، في المسيح بعد الاتحاد، وذلك للحفاظ على كمال وخصائص كل طبيعة على حدة.[11] كان الهدف الأنطاكي هو حماية الطبيعة الإلهية، غير القابلة للتغير والألم، من أن تُنسب إليها صفات الطبيعة البشرية المحدودة مثل الولادة والمعاناة والموت.[4]

إن هذا التباين الجذري في المنهجية ونقطة الانطلاق يجعل من الصدام بين المدرستين أمرًا شبه حتمي. لم يكن الخلاف مجرد سوء فهم لبعض التفاصيل، بل كان مواجهة بين نظامين لاهوتيين متكاملين داخليًا، ولكنهما غير متوافقين خارجيًا. فبينما كانت الإسكندرية تبدأ من "الأعلى" (الألوهية) نزولًا إلى "الأسفل" (التجسد)، كانت أنطاكية تبدأ من "الأسفل" (الإنسانية) صعودًا إلى "الأعلى" (الاتحاد بالألوهية).[3] هذا الاختلاف في المنظور جعل كل طرف يرى الآخر وكأنه يبدأ من فرضية خاطئة، مما جعل الحوار البنّاء بينهما شبه مستحيل، وكأن الخلاف كان مبرمجًا مسبقًا في بنية الفكر اللاهوتي للقرن الخامس.

الفصل الأول: الخلفية السياسية واللاهوتية للشخصيات المحورية

لفهم أبعاد النزاع، لا بد من تحليل الخلفيات اللاهوتية والسياسية لطرفيه الرئيسيين، كيرلس ونسطور، اللذين كانا نتاج بيئتيهما الكنسية والفكرية.

كيرلس السكندري (376-444 م)

نشأ كيرلس في الإسكندرية وتلقى تعليمه اللاهوتي فيها، متأثرًا بشخصية خاله البطريرك ثاوفيلس، الذي سبقه على الكرسي المرقسي.[14] عند توليه منصب أسقف الإسكندرية، ورث كيرلس قيادة كرسي يتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي هائل، وكان يُنظر إليه تاريخيًا كحصن للدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي منذ عهد أثناسيوس الكبير في مواجهة الآريوسية.[4] عُرف كيرلس بشخصيته القوية والمثيرة للجدل، والتي يصفها بعض المؤرخين بالبراغماتية السياسية الشديدة والقدرة على استخدام كافة الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافه.[15]
لاهوتيًا، تمحورت كريستولوجيا كيرلس حول مفهوم "الاتحاد الأقنومي" (أو)، الذي يعني أن الطبيعتين الإلهية والإنسانية اتحدتا في أقنوم "الكلمة" الإلهي الواحد دون انفصال. ونتيجة لهذا الاتحاد، أكد كيرلس على مبدأ "تبادل الخواص" ()، الذي يسمح بنسبة أفعال وآلام الطبيعة البشرية (مثل الولادة والمعاناة والموت) إلى شخص "الكلمة" الإلهي نفسه، ليس في طبيعته الإلهية، بل في جسده الذي اتخذه.[9]

نسطور (حوالي 386-451 م)

وُلد نسطور في مرعش (Germanicia) بسوريا، وتلقى تعليمه اللاهوتي في مدرسة أنطاكية على يد أحد أبرز أعلامها، ثيؤدور المصيصي، الذي كان خصوم المدرسة السكندرية يعتبرونه "أب الهرطقات".[10] في عام 428 م، تم اختياره ليصبح بطريركًا للقسطنطينية، العاصمة الإمبراطورية الجديدة التي كانت تسعى لترسيخ مكانتها الكنسية لتتفوق على الكراسي الرسولية الأقدم كالإسكندرية وأنطاكية.[4]
كان نسطور يُعرف بكونه واعظًا مفوهًا ورجلًا فاضلًا، لكن العديد من المصادر تشير إلى أنه كان يفتقر إلى الحنكة السياسية والدبلوماسية اللازمة لإدارة منصبه الحساس في العاصمة.[15]
انعكست خلفيته الأنطاكية بوضوح في لاهوته الكريستولوجي، الذي شدد على التمييز الحاد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح. لتفسير الوحدة، استخدم نسطور مفهوم "اتحاد الشخص" ()، الذي فهمه على أنه "اتصال" أو "مجاورة" () بين الطبيعتين، حيث يشكلان "شخصًا" () واحدًا للاتحاد، مع الحفاظ على التمايز الكامل بينهما.[4]

كان جوهر الخلاف يكمن في الفهم المتباين لمصطلحات فلسفية يونانية دقيقة، والتي استخدمتها كل مدرسة بطريقة مختلفة، مما أدى إلى سوء فهم عميق. يوضح الجدول التالي الفروق الحاسمة في استخدام هذه المصطلحات:

المصطلح (باليونانية والعربية)	التفسير السكندري (كيرلس)	التفسير الأنطاكي (نسطور/ثيؤدور)
(طبيعة)	يميل إلى استخدام صيغة "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" () للتأكيد على الوحدة التامة بعد الاتحاد.[18]	يؤكد على وجود طبيعتين كاملتين ومتميزتين () بعد الاتحاد، لا يمكن الخلط بينهما أو امتزاجهما.[5]
(أقنوم)	يساويه بالشخص الواحد للمسيح، حيث اتحد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الكلمة. الاتحاد "أقنومي" ().[9]	يميل إلى التمييز بينه وبين "الشخص"، مما أثار اتهامات بوجود "أقنومين" أو "ابنين" منفصلين.[19]
(شخص)	الشخص الواحد للمسيح هو أقنوم الكلمة المتجسد. لا يوجد شخص إنساني مستقل اتحد به الكلمة.	"شخص الاتحاد" () الواحد ناتج عن ارتباط وتوافق الطبيعتين الإلهية والإنسانية.[23]
(والدة الإله)	لقب ضروري وحاسم لإثبات حقيقة التجسد، وأن المولود من مريم هو الإله نفسه في الجسد.[9]	لقب مرفوض لأنه يوحي بأن الطبيعة الإلهية ولدت؛ يفضل استخدام "والدة المسيح" () أو "والدة الإنسان" ().[2]

لا يمكن فصل هذا النقاش اللاهوتي الدقيق عن الأجندات السياسية الكامنة. كان هناك تنافس واضح على النفوذ بين كرسي الإسكندرية، صاحب التاريخ العريق والمكانة الرفيعة، وكرسي القسطنطينية، العاصمة الإمبراطورية الجديدة الصاعدة.[4] كان القانون الثالث من مجمع القسطنطينية الأول (381 م)، الذي منح أسقف القسطنطينية المرتبة الثانية في الشرف بعد أسقف روما، بمثابة تحدٍ مباشر لمكانة الإسكندرية التقليدية.[4] بالتالي، لم يكن كيرلس يدافع عن عقيدة لاهوتية فحسب، بل كان يدافع أيضًا عن هيبة وسلطة كرسيه ضد ما اعتبره تعديًا من العاصمة الإمبراطورية. لقد كان الصراع الكريستولوجي هو الساحة التي خيضت فيها معركة أكبر على النفوذ الكنسي في الإمبراطورية.[15]

الفصل الثاني: اندلاع الخلاف: قضية "الثيوطوكوس"

كانت الشرارة التي أشعلت الجدل هي سلسلة من الخطب ألقاها نسطور وكاهنه أنسطاسيوس في القسطنطينية أواخر عام 428 م، والتي رفضا فيها علنًا استخدام لقب "ثيوطوكوس" ()، أي "والدة الإله"، لوصف السيدة العذراء مريم.[9] لم يكن هذا الرفض مجرد تفضيل لغوي، بل كان النتيجة المنطقية للكريستولوجيا الأنطاكية التي سعت جاهدة لحماية الطبيعة الإلهية غير القابلة للألم والتغير من أن تُنسب إليها خصائص الناسوت المحدودة مثل الولادة.[12] اقترح نسطور بدلاً منه لقب "خريستوتوكوس" ( )، أي "والدة المسيح"، معتبرًا أنه أكثر دقة لاهوتية.

أحدث هذا الموقف اضطرابًا كبيرًا بين رهبان وشعب القسطنطينية، الذين كانوا قد اعتادوا على تبجيل العذراء بلقب "والدة الإله" في صلواتهم وعباداتهم الشعبية.[10] وقد ساهمت شخصيات كنسية بارزة في العاصمة، مثل الأسقف بروكلس (Proclus)، في تعزيز هذه التقوى المريمية حتى قبل اندلاع الخلاف، مما جعل موقف نسطور يبدو وكأنه هجوم على إيمان البسطاء.[26]

عندما وصلت أخبار هذه التعاليم إلى الإسكندرية، رأى فيها كيرلس تهديدًا مباشرًا لأساس الإيمان المسيحي. وبدأت المواجهة عبر سلسلة من المراسلات بين الأسقفين.[17] في رسالته الثانية، قدم كيرلس شرحًا هادئًا نسبيًا لموقفه اللاهوتي، لكن الموقف تصاعد بسرعة. بلغت المواجهة ذروتها في الرسالة الثالثة لكيرلس، والتي اتخذت طابع الإنذار النهائي وأُرفق بها "الحروم الإثني عشر" ( ) الشهيرة.[28]

كانت هذه الحروم مصممة بدقة لـ "محاصرة" نسطور لاهوتيًا، حيث أن رفضه لها سيعني إدانته بالهرطقة من وجهة نظر كيرلس.[8] على سبيل المثال، يربط الحرم الأول بشكل مباشر بين الإقرار بلقب "ثيوطوكوس" والإيمان بأن عمانوئيل هو "الله بالحقيقة".[16] كما استخدمت الحروم مصطلحات مثل "الاتحاد الطبيعي" أو "الاتحاد الأقنومي"، وهي مصطلحات كانت تثير شكوك المدرسة الأنطاكية لأنها بدت لهم قريبة من لاهوت أبوليناريوس الذي سبق إدانته.

أدى هذا التصعيد إلى تدويل النزاع سياسيًا. لجأ كلا الطرفين إلى السلطات العليا: توجه نسطور إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني في القسطنطينية، بينما أرسل كيرلس وفدًا إلى بابا روما سلستين الأول.[10] جاء قرار روما سريعًا وحاسمًا بدعم موقف كيرلس وإدانة نسطور، مما أعطى القضية السكندرية زخمًا سياسيًا هائلاً. في محاولة منه لاحتواء الأزمة المتفاقمة، دعا الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة أفسس في عيد العنصرة عام 431 م.[2]

تُظهر هذه المرحلة من الصراع كيف تم "تسليح" اللاهوت واستخدامه كأداة في صراع على السلطة. لم تكن حروم كيرلس مجرد بيانات عقائدية، بل كانت وثيقة قانونية-لاهوتية شديدة الدقة ومصاغة بلغة استفزازية.[24] بتحويل النقاش من حوار لاهوتي إلى مواجهة قانونية، وضع كيرلس نسطور في موقف المتهم الذي عليه إما الإقرار بـ "التهم" الموجهة إليه أو مواجهة الإدانة الحتمية.[8] لم تكن الحروم تهدف إلى الإقناع بقدر ما كانت تهدف إلى الإدانة، مما يوضح كيف يمكن للعقيدة أن تصبح أداة استراتيجية في الصراعات على النفوذ الكنسي.

الفصل الثالث: مجمع أفسس (431): صراع المجامع

عندما توافدت الوفود الكنسية على أفسس، كانت الأجواء مشحونة بالتوتر. وصل كيرلس على رأس وفد كبير من الأساقفة والرهبان المصريين، بينما وصل نسطور مدعومًا بقوة عسكرية إمبراطورية وممثل الإمبراطور الشخصي، الكونت كانديديانوس.[18] اتخذ كيرلس قرارًا مثيرًا للجدل بافتتاح أعمال المجمع في 22 يونيو 431 م، على الرغم من تأخر وصول الوفد الأنطاكي الداعم لنسطور، بقيادة الأسقف يوحنا الأنطاكي، والذي كان في طريقه إلى أفسس.[19]

وقائع مجمع كيرلس (المجمع المسكوني)

عُقدت الجلسة الأولى للمجمع في كنيسة القديسة مريم العذراء، وهو اختيار له دلالته الرمزية في سياق الجدل حول لقب "والدة الإله".[10] تم استدعاء نسطور ثلاث مرات للمثول أمام المجمع، لكنه رفض الحضور، معتبرًا أن المجمع غير قانوني لغياب الوفد الأنطاكي ولأن كيرلس، خصمه الرئيسي، كان هو القاضي.proceded [36] المجمع بتلاوة رسائل كيرلس ونسطور، بالإضافة إلى مقتطفات من كتابات آباء الكنيسة لدعم لقب "ثيؤطوكوس". وفي نهاية اليوم، أصدر المجمع حكمه بإدانة نسطور بتهمة الهرطقة، وخلعه من منصبه، وتجريده من رتبته الكهنوتية. وقع على هذا القرار ما يقرب من 200 أسقف.[19]

المجمع المضاد (Conciliabulum)

بعد أيام قليلة، وصل يوحنا الأنطاكي والوفد الشرقي، وعندما علموا بما حدث، استشاطوا غضبًا من تصرفات كيرلس.[18] ردًا على ذلك، عقدوا مجمعًا خاصًا بهم، عُرف لاحقًا باسم "المجمع الصغير" أو
. في هذا المجمع المضاد، أدانوا كيرلس وممنون أسقف أفسس بتهمة الخروج على القوانين الكنسية، واتهموهما بالوقوع في هرطقة أبوليناريوس التي تخلط بين الطبيعتين. وأصدروا حكمًا بخلعهما من منصبيهما.[19]

التدخل الإمبراطوري والمأزق

وجد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني نفسه في موقف سياسي وديني معقد للغاية، حيث وصلته تقارير متناقضة من مجمعين متنافسين في نفس المدينة، كل منهما يدعي الشرعية ويحرم الآخر.[33] في محاولة يائسة لاستعادة السيطرة، اتخذ الإمبراطور قرارًا صادمًا: التصديق على قرارات كلا المجمعين. وهذا يعني تأكيد خلع نسطور من جهة، وتأكيد خلع كيرلس وممنون من جهة أخرى. تم وضع الأساقفة الثلاثة قيد الإقامة الجبرية.[19]
أظهر هذا القرار مدى حيرة السلطة الإمبراطورية وفشلها في إدارة الأزمة. لكن في النهاية، وبعد أسابيع من المفاوضات والضغوط السياسية في القسطنطينية، والتي لعبت فيها شخصيات من البلاط الإمبراطوري دورًا هامًا، تمكن أنصار كيرلس من كسب ود الإمبراطور. تم إطلاق سراح كيرلس وممنون والسماح لهما بالعودة إلى كرسييهما، بينما تم تأكيد حكم خلع نسطور ونفيه إلى دير في أنطاكية، ثم لاحقًا إلى صحراء مصر.[35]
يكشف مسار مجمع أفسس عن مفارقة عميقة. فالآلية التي صُممت لفرض الوحدة العقائدية وتحقيق الإجماع في الكنيسة [2]، تحولت هي نفسها إلى أداة للانقسام والتشرذم. الإجراءات التي اتخذها كيرلس ورد فعل يوحنا الأنطاكي حولت أداة الوحدة إلى ساحة معركة مفتوحة، مما أدى إلى فشل النموذج المجمعي في تحقيق هدفه. إن قرار الإمبراطور المتناقض بالتصديق على كلا القرارين هو اعتراف ضمني بفشل العملية برمتها. لقد مهد هذا الفشل الطريق لانقسامات أعمق في المستقبل، وأظهر كيف يمكن للمؤسسات الدينية أن تصبح مصدرًا للنزاع عندما تسيطر عليها السياسة الحزبية والتنافس على السلطة.

الفصل الرابع: من أفسس إلى خلقيدونية: تطور الخلاف وآثاره

لم تضع نهاية مجمع أفسس حدًا للجدل الكريستولوجي، بل فتحت الباب لمرحلة جديدة من الصراع والتحالفات الهشة التي مهدت الطريق للانقسام الأكبر في تاريخ الكنيسة.

محاولات المصالحة الهشة

بعد عامين من المفاوضات الصعبة، تم التوصل في عام 433 م إلى مصالحة مؤقتة بين كيرلس ويوحنا الأنطاكي. تمت هذه المصالحة على أساس وثيقة لاهوتية عُرفت باسم "صيغة الاتحاد"، والتي يُعتقد أن اللاهوتي الأنطاكي المعتدل ثيؤدوريطس القورشي هو من صاغها.[28] كانت هذه الصيغة بمثابة حل وسط دقيق: فقد اعترفت بلقب "ثيؤطوكوس"، وهو ما أرضى كيرلس والجانب السكندري، وفي الوقت نفسه أكدت على وجود "طبيعتين" متميزتين في المسيح بعد الاتحاد، وهو ما أرضى الأنطاكيين. ورغم أن هذه الصيغة أعادت الشركة بين الإسكندرية وأنطاكية، إلا أنها كانت بمثابة هدنة هشة تركت العديد من الأسئلة اللاهوتية الأساسية دون إجابة.

الطريق إلى خلقيدونية

عادت التوترات لتشتعل من جديد بعد وفاة كيرلس عام 444 م وصعود خليفته ديوسقورس، الذي تبنى تفسيرًا أكثر تشددًا للاهوت كيرلس. في هذه الأثناء، ظهر في القسطنطينية رئيس دير يُدعى أوطيخا (Eutyches)، والذي كرد فعل متطرف على النسطورية، بدأ يعلّم بأن الطبيعة البشرية للمسيح قد ذابت في الطبيعة الإلهية بعد الاتحاد، بحيث لم يعد هناك سوى طبيعة واحدة (مونوفيزيتية).[6]
أدت هذه التعاليم إلى عقد مجمع في القسطنطينية أدان أوطيخا، لكن ديوسقورس رأى في هذه الإدانة هجومًا على لاهوت كيرلس. وبدعم من الإمبراطور، ترأس ديوسقورس مجمعًا في أفسس عام 449 م، عُرف لاحقًا في التاريخ الكنسي الغربي بـ "المجمع اللصوصي" ().
في هذا المجمع، تم تبرئة أوطيخا وإدانة أبرز ممثلي الفكر الأنطاكي، مما أثار غضب أسقف روما، لاون الكبير، والكنائس الغربية.

مجمع خلقيدونية (451) والانقسام الدائم

انعقد مجمع خلقيدونية عام 451 م كرد فعل مباشر على أحداث مجمع أفسس الثاني، بهدف وضع صيغة إيمان نهائية ومستقرة تنهي الجدل.[27] تبنى المجمع "طومس لاون" ()، وهي رسالة لاهوتية من بابا روما، وأصدر "تعريف خلقيدونية" الشهير. نص هذا التعريف على أن المسيح هو "شخص واحد في طبيعتين"، إلهية وإنسانية، وأن هاتين الطبيعتين متحدتان "بلا اختلاط، ولا تغيير، ولا انقسام، ولا انفصال".[6]
كان هذا التعريف يهدف إلى أن يكون حلاً وسطًا يرفض النسطورية التي تفصل بين الطبيعتين، ويرفض الأوطاخية التي تخلط بينهما. لكن بالنسبة لجزء كبير من الكنيسة الشرقية، خاصة في مصر وسوريا، بدا هذا التعريف وكأنه خيانة للاهوت كيرلس وصيغته "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة". لقد رأوا في الحديث عن "طبيعتين" بعد الاتحاد عودة إلى "النسطورية المقنّعة". أدى هذا الرفض إلى الانقسام الخلقيدوني، وهو أول انقسام كبير ودائم في جسد الكنيسة، حيث انفصلت الكنائس التي رفضت المجمع (والتي تُعرف اليوم بالكنائس الأرثوذكسية المشرقية أو الميافيزية) عن الكنيسة الإمبراطورية الخلقيدونية (التي تشمل اليوم الكنيستين الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية).[1]
يمكن النظر إلى مجمع أفسس الأول على أنه "الخطيئة الأصلية" التي أدت إلى هذا الانقسام. فمن خلال تحقيق نصر سياسي حاسم بدلاً من التوصل إلى إجماع لاهوتي حقيقي [19]، قضى الطرف السكندري على أحد قطبي النقاش (الأنطاكيين) بالقوة، مما خلق فراغًا لاهوتيًا ورد فعل متطرفًا تمثل في الأوطاخية.[38] وعندما حاول مجمع خلقيدونية تصحيح هذا المسار المتطرف بإعادة الاعتبار للموقف الأنطاكي المعتدل (عقيدة الطبيعتين)، بدا وكأنه ينقض "انتصار" كيرلس في أفسس الأول.[27] لقد سمم الانتصار السياسي في أفسس الأجواء بشكل دائم، وجعل من المستحيل التوصل إلى حل وسط مقبول عالميًا في خلقيدونية، مما جعله السبب الجذري للانقسام الدائم.

الفصل الخامس: إعادة تقييم نسطور في ضوء "بازار هرقليدس"

بعد إدانته في أفسس، قضى نسطور بقية حياته في المنفى، معظمها في واحة نائية في صعيد مصر.[35] خلال هذه الفترة، حوالي عام 451 م، كتب دفاعه اللاهوتي الأخير والأكثر تفصيلاً، وهو عمل ضخم عُرف باسم "بازار هرقليدس" ( ).[19]

تحليل "بازار هرقليدس"

ظل هذا الكتاب مفقودًا لقرون، ولم يُكتشف إلا في أواخر القرن التاسع عشر، مما أتاح للباحثين لأول مرة فرصة الاطلاع على وجهة نظر نسطور الخاصة، بعيدًا عن الصورة التي رسمها له خصومه.[23] في هذا العمل، يقدم نسطور دفاعًا مطولًا عن أرثوذكسيته، ويحلل الأحداث التي أدت إلى إدانته. ومن أبرز النقاط اللاهوتية التي يطرحها الكتاب:

- نفي تهمة "الابنين": يصر نسطور مرارًا وتكرارًا على أنه لم يعلّم أبدًا بوجود "ابنين" أو "شخصين" منفصلين في المسيح، وهي التهمة الرئيسية التي وجهت إليه.[23]
- توضيح "الاتحاد الشخصي": يقدم شرحًا مفصلاً لمفهومه عن "الاتحاد الشخصي" (). يجادل بأن "شخص" () الاتحاد هو واحد، لكنه يميز هذا "الشخص" الظاهري للاتحاد عن "الأقنوم" ()، الذي يمثل الطبيعة في وجودها الفردي. من وجهة نظره، كان من الممكن التمييز بين أقنوم اللاهوت وأقنوم الناسوت مع الحفاظ على وحدة "شخص" المسيح.[23]
- موقفه من خلقيدونية: يبدو أن نسطور كان على علم، ولو بشكل غير مباشر، بقرارات مجمع خلقيدونية. وهو يرى في تعريف المجمع (شخص واحد في طبيعتين) انتصارًا لأفكاره الأساسية، لكنه في الوقت نفسه ينتقد بشدة استمرار المجمع في إدانته شخصيًا، معتبرًا ذلك تناقضًا وظلمًا.[40]
- حرم "نسطور" الآخر: في واحدة من أكثر عبارات الكتاب إثارة، يصل نسطور إلى حد إعلان الحرم على الصورة المشوهة التي صنعها له خصومه، قائلاً: "أما نسطور، فليكن محرومًا".[8]

التقييم الأكاديمي الحديث

أثار اكتشاف "بازار هرقليدس" نقاشًا علميًا واسعًا حول ما إذا كان نسطور قد أُسيء فهمه بالفعل. يجادل العديد من الباحثين المعاصرين بأن الخلاف كان إلى حد كبير نتيجة لسوء فهم المصطلحات الفلسفية، وأن كريستولوجيا نسطور، على الرغم من اختلافها الواضح عن كريستولوجيا كيرلس، قد لا تكون هرطوقية بالمعنى الذي صوره به خصومه.[4] يطرح هذا التقييم سؤالًا مهمًا: هل كان نسطور ضحية للصراعات السياسية الكنسية أكثر من كونه مبتدعًا؟ تشير الأدلة بقوة إلى أن التنافس الشديد بين كرسيي الإسكندرية والقسطنطينية، إلى جانب الشخصية السياسية القوية لكيرلس، لعبا دورًا حاسمًا في إدانته، ربما يفوق الأسباب اللاهوتية البحتة.[4]

إن إعادة قراءة فكر نسطور لا تهدف بالضرورة إلى تبرئته الكاملة أو إدانة كيرلس، بل تكشف عن مأساة أعمق: مأساة الدلالات والفهم المفقود. يكشف "البازار" أن الطرفين كانا يتحدثان لغتين لاهوتيتين مختلفتين، متأثرين بتقاليدهما الفلسفية المتباينة.[4] فبينما كان كيرلس يفهم مصطلح "أقنومين" على أنه يعني حتمًا "ابنين"، كان نسطور يرى أنه من الممكن التمييز بين الأقنومين مع الحفاظ على وحدة "شخص" الاتحاد.[23] لقد كانا في "حوار طرشان"، حيث يفسر كل طرف مصطلحات الآخر من خلال منظوره الخاص، مما أدى إلى انهيار كامل في التواصل اللاهوتي.[19] لم يكن الخلاف مجرد صراع بين "الأرثوذكسية" و"الهرطقة"، بل كان أيضًا انهيارًا مأساويًا في القدرة على الفهم المتبادل.

خاتمة: الإرث الدائم للخلاف النسطوري

في ختام هذا التحليل، يتضح أن الخلاف النسطوري كان ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد. لاهوتيًا، كان صراعًا بين رؤيتين كريستولوجيتين متنافستين، إحداهما تركز على الوحدة العميقة في شخص المسيح (الإسكندرية)، والأخرى على التمايز الكامل بين طبيعتيه (أنطاكية). تاريخيًا، كان سلسلة من الأحداث المتصاعدة التي بلغت ذروتها في مجمعين، أفسس وخلقيدونية، واللذين بدلاً من حل النزاع، قاما بترسيخ الانقسام. وسياسيًا، كان معركة نفوذ شرسة بين المراكز الكنسية الكبرى في الإمبراطورية الرومانية، تداخلت فيها السلطة الإمبراطورية بشكل حاسم ومتضارب في كثير من الأحيان.

كان الأثر الأكثر ديمومة لهذا الخلاف هو أنه أدى مباشرة إلى أول انقسام كبير ودائم في جسد الكنيسة. نتج عن هذا الانقسام ظهور عائلات كنسية متميزة لا تزال قائمة حتى اليوم: الكنائس الخلقيدونية (التي تضم الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية)، والكنائس الميافيزية (التي تضم الكنائس الأرثوذكسية المشرقية مثل القبطية والسريانية والأرمنية)، وكنيسة المشرق (التي غالبًا ما توصف بشكل غير دقيق تاريخيًا بـ "النسطورية").[1]

في العصر الحديث، يكتسب فهم هذا التاريخ أهمية خاصة في سياق الحوارات المسكونية الهادفة إلى إعادة الوحدة. ومن الأمثلة البارزة على ذلك "الإعلان الكريستولوجي المشترك بين الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة المشرق الآشورية" في عام 1994، والذي أقر بأن الخلافات التاريخية كانت "إلى حد كبير بسبب سوء الفهم" في المصطلحات اللاهوتية.[2] يؤكد هذا الإعلان على صحة الاستنتاجات التي توصل إليها البحث الأكاديمي الحديث، ويفتح الباب أمام إمكانية تجاوز انقسامات الماضي من خلال إعادة قراءة محايدة ومتعمقة للتاريخ، والاعتراف بأن المأساة لم تكن فقط في اختلاف العقائد، بل في فشل المحبة والتفاهم.

Works cited

1. Introduction to the Oriental Orthodox Churches - The Society of St. John Chrysostom, accessed October 2, 2025, https://lightoftheeast.org/wp-content/uploads/2010/04/Intro-to-Oriental-Churches.pdf
2. Council of Ephesus - Wikipedia, accessed October 2, 2025, https://en.wikipedia.org/wiki/Council_of_Ephesus
3. كرستولوجيا - ويكيبيديا, accessed October 2, 2025, https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7
4. (PDF) Nestorius did not intend to argue that Christ had a dual nature, but that view became labeled Nestorianism (PRO) - ResearchGate, accessed October 2, 2025, https://www.researchgate.net/publication/340449639_Nestorius_did_not_intend_to_argue_that_Christ_had_a_dual_nature_but_that_view_became_labeled_Nestorianism_PRO
5. اختلاف مفهوم الكريستولوجي بين الكنائس - Church of Beth Kokheh Journal, accessed October 2, 2025, https://bethkokheh.assyrianchurch.org/articles/140
6. Crash Course on the Seven Ecumenical Councils - Dallas International University, accessed October 2, 2025, https://www.diu.edu/diu-today/program-spotlights/crash-course-on-the-seven-ecumenical-councils/
7. مدرسة الإسكندرية اللاهوتية - St-Takla.org, accessed October 2, 2025, https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_01-Historical-Notes-on-the-Mother-Church/Christian-Church-History__047-Madrasat-Al-Eskanarya-Al-Lahotya.html
8. In Defense of Nestorius - Conciliar Post, accessed October 2, 2025, https://conciliarpost.com/theology-spirituality/church-history/in-defense-of-nestorius/
9. Cyril of Alexandria's critique of the term Theotokos by Nestorius ..., accessed October 2, 2025, https://scielo.org.za/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S1015-87582012000200001
10. The Council of Ephesus - Dominicana Journal, accessed October 2, 2025, https://www.dominicanajournal.org/wp-content/files/old-journal-archive/vol16/no2/dominicanav16n2councilephesus.pdf
11. كيرلس السكندري والصراع النسطوري - YouTube, accessed October 2, 2025, https://www.youtube.com/watch?v=_SlkTszIeL8
12. مجمع أفسس - ويكيبيديا, accessed October 2, 2025, https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%85%D8%B9_%D8%A3%D9%81%D8%B3%D8%B3
13. Nestorius, bishop of Constantinople, c. 386–450/1 CE | Oxford Classical Dictionary, accessed October 2, 2025, https://oxfordre.com/classics/display/10.1093/acrefore/9780199381135.001.0001/acrefore-9780199381135-e-8570?p=emailAg1iZ6yxPKweM&d=/10.1093/acrefore/9780199381135.001.0001/a

crefore-9780199381135-e-8570
14. كيرلس الاول (بابا الاسكندريه) - ويكيبيديا, accessed October 2, 2025, https://arz.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%8A%D8%B1%D9%84%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%84_(%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D9%87)
15. The Heart of Our Faith is a Person: Cyril and Protestants Today, accessed October 2, 2025, https://www.logos.com/grow/the-heart-of-our-faith-is-a-person-cyril-and-protestants-today/
16. The Council Of Ephesus – 431 A.D. - Papal Encyclicals, accessed October 2, 2025, https://www.papalencyclicals.net/councils/ecum03.htm
17. الرسالة 4 من القديس كيرلس إلى نسطور | St-Takla.org, accessed October 2, 2025, https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_02-History-of-the-Coptic-Church-Councils-n-Christian-Heresies/Al-Magame3-Al-Maskooneya/Malahek-Magma3-Afasos/Letter-No-04-Pope-Cyril-I-to-Nestorius.html
18. المجمع المسكوني الثالث - مجمع أفسس - حتى القرن التاسع - شبكة أرثوذكس أونلاين, accessed October 2, 2025, https://www.orthodoxonline.org/theology/church-history/church-history-to-nineteenth-century/third-ecumenical-council-or-council-of-ephesus/
19. The Nestorian Controversy (Chapter 10) - The Cambridge ..., accessed October 2, 2025, https://www.cambridge.org/core/books/cambridge-companion-to-christian-heresy/nestorian-controversy/67962483E60B69666398A4906B5927B3
20. A Short History - Archons of the Ecumenical Patriarchate, accessed October 2, 2025, https://archons.org/a-short-history/
21. Reading councils backwards: Challenging teleological perspectives of Constantinopleâ•Žs ecclesiastical development from 381 - Research Bank, accessed October 2, 2025, https://acuresearchbank.acu.edu.au/download/fd7918943836e74d9fa5f151482a28738bede10ab740680e4025a905e752f02f/2374563/Pigott_2016_Reading_councils_backwards_challenging_technological_perspectives.pdf
22. القديس كيرلس الكبير يتصدى لبدعة نسطور - YouTube, accessed October 2, 2025, https://www.youtube.com/watch?v=c1hN-vx9lJI
23. Nestorius - Wikipedia, accessed October 2, 2025, https://en.wikipedia.org/wiki/Nestorius
24. Theodoret's Christology at the Dawn of the Nestorian ... - Brill, accessed October 2, 2025, https://brill.com/display/book/9789004290808/B9789004290808_005.pdf
25. The Christology of Theodoret of Cyrrhus: The Question of Its Development - CORE, accessed October 2, 2025, https://core.ac.uk/download/pdf/67759478.pdf
26. Marian Piety and the Nestorian Controversy | Studies in Church ..., accessed October 2, 2025, https://www.cambridge.org/core/journals/studies-in-church-history/article/marian-piety-and-the-nestorian-controversy/ED9AF0BE10464DFA462E17A9F3AC7329
27. Theological and Political Aspects of the Council of Chalcedon, accessed October

2, 2025, https://scriptaclassica.org/index.php/sci/article/download/2139/1555
28. CHRIST: Through the Nestorian Controversy, accessed October 2, 2025, https://api.pageplace.de/preview/DT0400.9781009064323_A45553048/preview-9781009064323_A45553048.pdf
29. | مركز الاباء: رسائل القديس كيرلس الاسكندري - الي نسطور ويوحنا الانطاكيPDF - Scribd, accessed October 2, 2025, https://www.scribd.com/document/109941642/%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%B3-%D9%83%D9%8A%D8%B1%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%8A-%D9%86%D8%B3%D8%B7%D9%88%D8%B1-%D9%88%D9%8A%D9%88%D8%AD%D9%86%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B7%D8%A7%D9%83%D9%8A
30. كيرلس الأول (بابا الإسكندرية) - ويكيبيديا, accessed October 2, 2025, https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%8A%D8%B1%D9%84%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84_(%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%A9)
31. الرسالة 3 من القديس كيرلس إلى نسطور + الحروم الاثني عشر - St-Takla.org, accessed October 2, 2025, https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_02-History-of-the-Coptic-Church-Councils-n-Christian-Heresies/Al-Magame3-Al-Maskooneya/Malahek-Magma3-Afasos/Letter-No-17-Pope-Cyril-I-to-Nestorius.html
32. الحرومات الإثنى عشر ضد أفكار نسطور - القمص أنجيلوس جرجس - برنامج كنيستي - YouTube, accessed October 2, 2025, https://www.youtube.com/watch?v=gDVV9AVIM-k
33. Chapter 4 - Theodosius II and the politics of the first Council of Ephesus, accessed October 2, 2025, https://www.cambridge.org/core/books/theodosius-ii/theodosius-ii-and-the-politics-of-the-first-council-of-ephesus/A5AE27B58E86A1318003EF1FFD8FD8FB
34. مجمع أفسس | مدرسة الشمامسة | كنيسة السيدة العذراء بالدقي, accessed October 2, 2025, https://madraset-elshamamsa.com/articles/Tari5Kenisa/Magma3Afasos.php
35. مجمع أفسس الأول المقدس 431 م. - تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الأم (تاريخ الأقباط) | St-Takla.org, accessed October 2, 2025, https://st-takla.org/Coptic-History/CopticHistory_02-History-of-the-Coptic-Church-Councils-n-Christian-Heresies/Encyclopedia-Coptica-History__007-Magma3-Afasus-I-431.html
36. Journal articles: 'Council of Ephesus (431)' - Grafiati, accessed October 2, 2025, https://www.grafiati.com/en/literature-selections/council-of-ephesus-431/journal/
37. كتاب موسوعة الملل والأديان - مجمع أفسس سنة م - المكتبة الشاملة, accessed October 2, 2025, https://shamela.ws/book/38219/282
38. Ecumenical Councils - Christendom College Graduate School, accessed October

2, 2025, https://graduate.christendom.edu/councils/
39. Timothy Aelurus, Against the Council of Chalcedon (Chapter 7) - The Cambridge Edition of Early Christian Writings, accessed October 2, 2025, https://www.cambridge.org/core/books/cambridge-edition-of-early-christian-writings/timothy-aelurus-against-the-council-of-chalcedon/9D5EB4115C88C536D4B713F517587BC3
40. Nestorius, The Bazaar of Heracleides (1925) pp.iii-xxxv. Introduction, accessed October 2, 2025, https://www.ccel.org/ccel/pearse/morefathers/files/nestorius_bazaar_0_intro.htm
41. Aristos - ResearchOnline@ND - Notre Dame, accessed October 2, 2025, https://researchonline.nd.edu.au/cgi/viewcontent.cgi?article=1018&context=aristos